

القضايا الراهنة للواقعية

بمقام فلاديمير بسكونوف
ترجمة: فضل ناصر

من هذا الموقف العام فقط بالإمكان حل مثل هذه القضايا ، كالعلاقة بين الموضوعي والذاتي في الفن ، وفهم ما هو الواقع الاستاتيكي ، وكيف تتفاعل وتنعاش العناصر الاستاتيكية والعناصر غير الاستاتيكية ، وما هي العلاقة بين أشكال الفن وأشكال الحياة ، وكيف تخلق صورة فنيّة معيّنة ، وما هو دور الكاتب في العمل الفني ، وكيف تتجلى ملامح طريقة فنية معيّنة .

وتلا نيقولاي جي ، وفلاديمير بسكونوف بحثا حول « الفاعلية الاستاتيكية للفن » وكان موجها ضد الاساليب التوضيحية والاستسناخ . لقد كان واضحا لدى عمالقة الواقعية الاشتراكية في عصرنا بأن مما لا يقبل الجدل هو ان على الفن ان لا يقوم بعكس التحولات التي تحدث في الواقع فقط ، بل يجب مساعدتها بشكل مقصود . وهكذا ، فمن اجل ان لا يقع في العرض التبسيطي للواقع ، فان حقيقة الحياة يجب ان تجهد من اجل فاعلية استاتيكية . واستنادا الى مواد عديدة مستقاة من الادب السوفياتي والاداب الأجنبية المعاصرة بين المتحدثان كيف ان الكتاب يناضلون من اجل فن فعال ومؤثر يهدف الى تثقيف الانسان الجديد .

هذا كما خصصت عدة ابحاث لدراسة العلاقة بين فن الواقعية الاشتراكية وطرق الإبداع الأخرى .

وفي بحث ميخائيل بارخومينكو حول « الواقعية الاشتراكية ، والواقعية الانتقادية في اداب شعوب الاتحاد السوفياتي » وبحث جورجي لوميدز حول « العلاقة بين الواقعية الاشتراكية ، والواقعية الانتقادية » عرضت وجهات نظر متعارضة على خط مستقيم . وقد اشار بارخومينكو الى انه يوجد بين أعمال الادب السوفياتي في العشرينات عددا من أعمال الواقعية الانتقادية (مثل افاصير فيلدين وليونوف وغيرهم) توجد جنبا الى جنب مع الواقعية الاشتراكية ، ما دام الانتقال من تكوين اجتماعي الى تكوين اجتماعي آخر هو ظاهرة معقدة ترتبط بالنمو التدريجي للادراك الذاتي الاستاتيكي للناس . وقد حاول لوميدز ، على الضد من ذلك ، البرهنة على ان الكتاب السوفيات بعد 1917 ، حتى عند تقديمهم للواقع فانما يتفدون من وجهة نظر المثل الاشتراكية . وهكذا فهناك كل البررات لاعتبار أعمالهم تعود لضعف الواقعية الاشتراكية . وازضافة لذلك فان لوميدز قد شدد على ان فكرة الواقعية الاشتراكية هي تاريخيا فكرة متبدلة ومتغيرة ، ولهذا يجب ان لا نتوقع ان يلائم مفهومنا الراهن عن الواقعية الاشتراكية تماما ادب العشرينات مثلا .

وفي بحث حول « الرومانسية والادب المعاصر » قدمه الكسندر افجارنكو ، قال فيه ان هنالك جناحا رومانسيا قويا في الادب السوفياتي يتمثل بأغلبية كبيرة من الكتاب امثال : غرين ، بوستوفسكي ، ووفجنكو ، يانوفسكي ، ستيلماخ ، وفركن . ان الرومانسية لا تحتل مكانا في المرحلة الاولى من تطور الادب السوفياتي فحسب ، بل ان اتجاهات رومانسية قوية لا تزال سائدة حتى اليوم في أعمال عدد من الكتاب السوفيات . وبعد ان حلل أعمال هؤلاء الكتاب توصل الى استنتاج يرى بان الرومانسية يجب ان لا تشهد كجزء ملازم للواقعية الاشتراكية ، ولكن كظاهرة استاتيكية مستقلة ايضا . وصاغ افجارنكو

عقد في خريف العام المنصرم مؤتمر حول « القضايا الراهنة للواقعية الاشتراكية » ، نظمه معهد غوركي للادب العالمي بالتعاون مع اتحاد الكتاب السوفيات (1) .

لقد اثار هذا المؤتمر اهتماما واسعا في الاوساط الأدبية . وحضره عدد من باحثي الادب في موسكو وليننغراد ومن الجمهوريات الاتحادية الاخرى ، بالاضافة الى وفود من المانيا الديمقراطية وهنغاريا ويوغوسلافيا وبولونيا . وقد قرئ في المؤتمر اثنا عشر بحثا كما شارك في المناقشة اكثر من ثلاثين متحدثا .

وقال البروفيسور الكسندر مياسنكوف في بحث له حول « الواقعية الاشتراكية ومسألة النظرية » ان على الباحثين السوفيات ان يوسعوا بشكل كبير ميدان دراساتهم ، لكي يضموا حلولا لاهم مشاكل الادب استنادا الى خبرة الفن السوفياتي خلال نصف قرن . وقد عرض مسألة قوانين الفن مؤكدا ان الاستاتيكي الماركسي يقر بوجود القوانين الموضوعية في الفن التي لا يمكن ان تماثل طبيعتها المميزة لقوانين الحياة الاجتماعية الاخرى .

واستنادا الى مواد كثيرة مستقاة من تاريخ الادب العالمي ، والس تجربة الابداعية لبازك وستندال وغوته وشلر والواقعيين الروس ، قام مياسنكوف بدراسة احدى القضايا الرئيسية في الدراسات الادبية ، وهي انعكاس الحياة واعادة خلقها في الفنون . ان الواقع الاستاتيكي الذي تمخض من التقاء الموضوع بالذات ، هو عالم جديد خلقه الفنان ، عالم تتميز ملامحه بتنوع الدلالات ، شأنه في ذلك شأن العالم الواقعي . وبينما يقوم عارضو الاستاتيكي البورجوازي بحل قضية العناصر الذاتية والموضوعية في الفن بالتشديد على أهمية العنصر الذاتي ، فان الباحثين السوفيات يجهدون لاختيار القضية ديالكتيكا . وهم يرفضون الفكرة القائلة بان العمل الفني عبارة عن عالم مستقل « مستنقل الاسرار » . اذ لا يكفي لاي عمل فني ان يوجد دون ان يعني شيئا كما يرى النقاد الجدد . ان القوانين الداخلية للعمل الفني تعكس القوانين الموضوعية للعالم المحيط ولا تعارضها . ومن الواضح ان على الفنان ان يتعلم من الحياة ، ولكن من اجل ان يخلق عملا فنيا ، عليه ان يعرف كيف يخلق صورا ذات عدة ابعاد تقوم باعادة خلق الواقع .

ان الطريقة الفنية (2) هي ظاهرة معقدة جدا ، وكذلك هو امر تحديدها الذي يجب ان ينطلق من جوهر الفن ، كوسيلة لعكس الحياة واعادة خلقها . ان العناصر الرئيسية لطريقة ما لا يمكن ان تحصى بشكل ميكانيكي ، ولكن ينبغي ان تقيم كنظام .

ان الفن الصادق لا يقوم باستسناخ الحياة ، بل باعادة خلقها ، وهو يدرس قوانينها مستخلصا افضل ملامح شخصية الانسان . وانطلاقا

(1) نشر هذا المقال في مجلة :

Soviet Literature, No. 7 , 1967, Moscow

(2) المقصود هنا بمصطلح الطريقة الفنية

هي ما تسمى احيانا بالاتجاه او المدرسة « كالمدرسة الواقعية مثلا » وقد ورد هذا المصطلح التقني في القاموس الفلسفي

Dictionary of Philosophy, Moscow, 1967

الجديد الذي صدر مؤخرا في موسكو . - المترجم -

استنتاجه الذي يرى انه « بالاضافة الى الرومانسية التي تشكل جزءا ملازما لطريقة الواقعية الاشتراكية ، فان الرومانسية توجد ايضا في الادب الحديث كطريقة مستقلة » .

وبينما تطرقت الابحاث السابقة لتناول بعض القضايا النظرية ، فان ابحاثا اخرى قد تناولت قضايا محددة تخص تطور الادب الحديث . ولكن يجب ملاحظة ان الابحاث النظرية كانت تستند الى مواد مستفاد من الظواهر الحية للادب الحديث . كما ان الابحاث التي تناولت الادب الحديث تضمنت ايضا استنتاجات نظرية هامة .

وفي بحث بعنوان « قضايا حول الموقف الابداعي للكاتب وبعض ملامح الادب الحديث » قدمه ليونيد نوفيچنكو ، العضو المراسل لأكاديمية العلوم الاوكرانية ، اشار فيه الى انه بعد المؤتمر العشرين داب الادب السوفياني على تقديم دراسة عميقة للحياة ، كما لفت الكاتب الانتباه الى اتجاهين نموذجيين للعملية الادبية المعاصرة .

اولهما : المسألة الفكرية التي تنشأ نتيجة لتطلعات وملاحظات مستقلة ، تثيرها الاهتمامات الانسانية والتمدنية الشديدة للكاتب . ان الانشغال بهذه القضايا يتعلق بالفاعلية الداخلية للشخصيات الادبية القائدة نفسها ، التي تبحث بالحاح عن حلول للقضايا المعقدة التي تطرحها الحياة .

اما المسألة الاخرى التي تستحق الاهتمام فهي وضوح تفكير موقف الكاتب في عصرنا وهي تعبير الفنان المبدع من اجسمل تصوير صادق عملي للواقع .

ومن الطبيعي فالمسألة لا تتعلق فقط بتناول الادب لتلك الاوجه من الحياة التي كانت خارج متناولها في الازمنة السابقة . فالادب (بتفعل) في الواقع : الماضي والحاضر منه على طول الجبهة ، وهو يدرس حقيقته المعقدة ، ويحس احساسا عميقا بالمسؤولية الفنية تجاهه المجرى الموضوعي للحياة .

وتوصل المتحدث الى استنتاج يرى ان التحليل الرصين للواقع والتوكيد الشعري للحياة ، والتعميد العظيم للقيم الاجتماعية والاخلاقية ، كانت كلها من تقاليد الواقعية الروسية العظيمة ، واقعية بوشكين ، وليرمنتوف ، وغوغول ، وتورجينيف ، وتولستوي ، وتشيكوف ، وهي ايضا من تقاليد الكتاب البارزين للادب القومية الاخرى في الاتحاد السوفياني . وفي ادب الواقعية الاشتراكية فان هذه الوحدة بين التحليل والتوكيد الشعري للمثل قد ارتفعت الى مستوى اعلى ، الى درجة جديدة نوعيا ، ما دام هذا الادب ، في التحليل العميق ، ادب كفاح وخلق ، ادبا يساعد بشكل فعال وواع لجعل المثل المكنوزة للانسانية واقعا حيا .

وفي بحث «حول الاتجاهات الاسلوبية في النثر الروسي الحديث» قدمه ياكوف السبرغ قال انه بينما كان يـودي كازكوف وفاسيلي اكسينوف يخطوان الخطوات الاولى في كتابة القصة الحديثة ، فقد برز الان كتاب شباب جيد امثال : بيلوف ، بيتوف ، شوكتين ، شم ، تكاجنكو ، موجاييف وغيرهم . ولقد قدم هؤلاء الكتاب مواد جديدة في الادب مستفاد من الواقع ، وبرزوا كقنانيين مبدعين ، يتميزون بالاساليب فردية مؤثرة بشكل عميق . ولفت الباحث الانتباه ، اثناء تحليله لآعمال كتاب النثر السوفياني الشباب الى حقيقة ان الشيء الرئيسي بالنسبة لهؤلاء الكتاب هو العمل على اعادة خالق « مجرى الحياة العظيم » . وعند الحديث عن الحلول الاسلوبية المميزة لهذه المهمة ، اعتبر ان الاساليب لم تتطور بعد لدرجة تجعلها قادرة على تنظيم وخلق مادة اصيلة وحية تعكس ملامح الحياة الروحية للناس ، وتعبّر بنفس الوقت ، وبشكل فعال ، عن الخصائص الفردية المميزة لكتابتها .

وقال فكتور بيرتسوف في بحثه حول « الشعراء المعاصرون ، والاحساس بالتاريخ » ان الاحساس بالتاريخ كان دائما من تقاليد الادب الكلاسيكي الروسي التي ورثها عنه الادب السوفياني . ومن هذه الزاوية اختبر المتحدث الظاهرة المتنوعة للشعر السوفياني المعاصر وخصوصا

أعمال يفجيني افنتشنگو .

وقد لاحظ الكاتب ان الاحساس بالتاريخ لا يقتصر بالشعير الجماهيري العام فقط ، بل ان الشعر الوجداني ذاته لا يستطيع ان يتطور بمقزل عن ذلك . وبهذا الصدد قام بيرتسوف بتقديم تحليل عميق لآعمال ياروسلاف سميليياكوف ، ملاحظا ان القسرة العظيمة للشاعر تكمن في قدرته على ربط ميدان المشاعر الوجدانية بميدان التاريخ . وأشار بشكل خاص الى قصيده سميليياكوف حول « انا اخموتوا » حيث اعاد الشاعر خلق الصور المعقدة المتناقضة للشاعرة البارزة .

وواصل بيرتسوف كلامه قائلا « ان الشاعر المعاصر ، مهما يكتب ، يجد نفسه على صلة وثيقة بالتاريخ . ولقد حان الوقت امام التاريخ ، الذي خلق مجتمعا جديدا في ثلث الارض ، ان يتقلد بثبات في قلب الشاعر وان يجد له موطننا هناك » .

وفي بحث « من الفولكلور الى الرواية » درس كورنيلي زيلنسكي أعمال مجموعة من ممثلي الادب الفنية التي قدمت اعمالا لمحمية قيمة معروفة جيدا لدى شعوب الاتحاد السوفياني . وتحليل روايات رتخيو وخوجار وآخرين ، اظهر زيلنسكي اي طريق تاريخي عظيم في التطور قد تحقق في السيطرة الاستاتيكية على الواقع في فترة زمنية وجيزة نسبيا ، من قبل الامم الصغيرة في الاتحاد السوفياني كما لفت الكاتب الانتباه الى ان التطور اللاحق قد اصبح ممكنا بفضل الانطلاق الثقافي الهائل الذي تحقق في بلادنا . وأشار زيلنسكي بشكل خاص لآعمال اتمانوف كمثال على ذلك . والفضل في ذلك يعود الى هضمه لتجربة الادب العالمي ، اذ نجح اتمانوف ، دون ان يفقد اصلاته القومية ككاتب قرغيزي ، في الارتفاع الى مستوى عال من الفكر الفني .

وفي بحث تامارا بالاشوفا حول « طرق البحث عن الواقعية الاشتراكية في البلدان الرأسمالية » اشارت الى ان هذه القضية لم تكن ملتبهة في يوم من الايام كما هي عليه الان . واذا اراد شخص ما ان يعبر عن انطباعه عن عدد من الآعمال المعاصرة بكلمة واحدة فان هذه الكلمة هي كونها « مفاجئة » . فمثلا كان ظهور رواية « الاسبوع المقدس » لـويس اراغون حدثا مفاجئا . وكذلك كان مفاجئا ظهور « الصياد » لالدرج ، و« اعمال جورج آمادو : « الحارة الشيوخ » و « جبريلا » . وبعد ظهور الاصوات المعقدة لبابلو نيرودا في « اغنية عالية » جاءت « اغنية الى اشياء بسيطة » طبيعية تماما . ان كل هذه الآعمال لدليل على وجود تجديد وواع ومنظم للاسلوب الشعري . ويجهد لاستكشاف طرق الاخرين في كشف الخصائص الجديدة للشخصية القومية والانسانية . ان الكتاب يعيرون اهتماما جديا لقضية مسؤولية كل فرد عن الطرف السائد في بلاده وفي العالم ، ولقضية الثقة بالانسان .

ان المهمة التي تحققت الان روايات اراغون وامادو ولاكسنس ، ومالتر وستل هي تحليل العملية الداخلية لادراك فرد يفكر بمصائر العالم ، وهي تحليل لجوهر الانسان ، ولعلاقاته المتبادلة مع « الاخرين » . ان الفن يحاول ان يكشف المعنى الخفي لاكثر المسائل الاجتماعية تعقيدا . وهذا هو سبب انجذاب الفن الاشتراكي الملحوظ اليوم نحو الاشكال الجديدة للرواية الفلسفية والسيكولوجية او للقصيدة الفلسفية . وهو يبحث عن طرق متنوعة نحو ذلك الطراز من الرواية والقصيدة والمسرحية تكون بمقدورها التعبير عن جو العالم المعاصر ، وعن استعداد الانسان للاجابة بنفسه على القضايا الصعبة التي تجابهه ، دون ان ينظر مساعدا « الجبار » وذلك ليقوم « بتفسير العالم ، واعادة بناؤه » - (بول ايلوار) .

ان المهمة الاساسية للفن الاصيل تكمن في انه يحفز في القراء الرغبة في التفكير والتعميم والتحليل واتخاذ موقف محدد . وهي ليست فقط قضية قيمة العمل الاستاتيكية التي بدونها لا يمكن ان يكون

هنالك فن ، ولكن ايضا تتعلق بالنزاهة الكاتب بالتغلغل الى جوهر القضايا الاجتماعية وتبيان علاقتها بالقضايا الاخلاقية المقعدة . ان هذا الاتجاه هو الذي يميز المرحلة الراهنة من تطور الادب المتقدم في البلدان الرأسمالية .

وفي الفن المعاصر ، فان الميل لتقديم تفسير فلسفي لاهم القضايا في العصر ، وللأسس الاولية « الطبيعية » للشخصية الانسانية ، يسير جنباً الى جنب مع الاهتمام بالصراعات السيكولوجية المقعدة . ان الشكل الفني للرواية السيكولوجية يتطور في خط متواز مع شكل الرواية الفلسفية ، واحيانا يتداخل وثيق معه . وقد عزز المتحدث رايه بتحليل رواية ارغون « الاسبوع المقدس » و « الروح » لالزا تريوليه و « لحن البيرنيه » لبيير غامارا .

تري كيف سيكون ادب الفد ؟ يفهم الكتاب والنقاد الواقع في البلدان المختلفة باشكال متباينة . فاراغون ، وستل ، ولانوكس يهنمون باكتشاف ما هو متناقض ومعقد ، بينما يرى لانكس على الضد من ذلك ، يحتاج على التطور المسرف للعناصر السيكولوجية في الادب الحديث . ولندسي يربط التجديد في الفن بنهضة الفولكلور . ان الجد قد يطول ، ولكن تظل مع ذلك ثمة مسألة لا يمكن الجدل حولها هي ان هذا التجديد يجب ان يمس كلا من المحتوى الفلسفي للعمل واسلوبه الفني . وكما يقول لانكس « ان من الصعب ان ننشأ تجاربه مع شكل ما اذا لم يكن هذا الشكل تعبيراً عن شيء انساني ، محوري ، حي وخلق » .

وفي بحث حول « تطور الواقعية في ادب البلدان الاشتراكية » مقدم من قبل انا بيرنستين ونيقولا بالاشوف ، اشاراً فيه الى ان الفنون المعاصرة لبلدان الديمقراطيات الشعبية تدخل الان مرحلة النضج . وبتأثير الظروف الجديدة فقد اغنتت الاتجاهات الاسلوبية بشكل ملحوظ ، كما تحقق غنى هائل في الاشكال وفي الطرق الفردية . وتزداد في نفس الوقت عملية التطور ، تعقيداً بعدة اعتبارات . كما ان هنالك وضوحاً غير كاف في فهم معنى الواقعية « فهناك اتجاه لتقليص حدود الواقعية ضمن حدود الاشكال التي وجدت في القرن التاسع عشر ، دون ملاحظة التحولات التي طرأت عليها في القرن العشرين . وبهذه الطريقة تبدو الواقعية كشيء متخلف لا يواكب العصر ، وغير قادرة على عكس الواقع المقعد الحديث . الا ان هذه الاراء تعكس فهما لا تاريخياً لمظاهر واقعية القرن التاسع عشر .

وفي عين الوقت ، فان اهم الاتجاهات في البلدان الاشتراكية تمكن المرء من الحديث ليس عن التقدم المطرد للواقعية الاشتراكية فقط ولكن حتى عن مرحلة جديدة من تطور هذه الطريقة . واكثر من ذلك فان العديد من الملامح الجديدة لادب البلدان الاشتراكية تجعله على صلة وثيقة بالادب السوفياتي المعاصر . واعتبر برنستين وبالاشوف ان التعبير الفني عن العالم هو من الملامح الرئيسية في الادب الحديث في البلدان الاشتراكية . ومن العلامات المهمة للمرحلة الجديدة هو الفهم العميق لاهمية وتطور الفرد ، وبشكل لا ينفصل عن ذلك ، ادراك مسؤولية هذا الفرد . كما ان هنالك اهتماماً متزايداً بسيكولوجية الفرد وقضية الاخلاق . وهنالك ايضا تصاعد في العناصر الفكرية في ادب الواقعية الاشتراكية الحديث .

وقد عزز المتحدثان رأيهما بتحليل اعمال كتاب متنوعين امثال : كروزجوفسكي ، موزك ، كارفاس ، ولوفنسكو .

وتوصل بيرنستين وبالاشوف الى استنتاج يرتكز الى اساس متينة يرى ان طريقة الواقعية الاشتراكية ، تستمر في التطور بنجاح في البلدان الاشتراكية . والمسألة التي تطرح حالياً هي مسألة الملامح العامة والتجربة الفنية الجماعية للادب في هذه البلدان . وأشار الى ان اغناء الاشكال والاتجاهات والاساليب في ادب البلدان الاشتراكية، لا يمثل انفصاماً عن الواقعية ، ولكنه دليل على القدرات التي تمتلكها في تطورها . « ولقد اثارت كل هذه البحوث مناقشة حية .

فلقد طرح البروفيسور جينادي بوسيبيلوف رأياً اشار فيه الى ان طريقة ما ، هي عبداً في عكس الحياة وليست وجهة نظر ايديولوجية . وان على المرء ان يميز بين الادب الاشتراكي وبين الواقعية الاشتراكية التي هي طريقة سائدة خلاله لعكس الحياة . وواصل المتحدث كلامه مبيناً ان الادب الاشتراكي ، هو بعد ذاته ، ادب متنوع . ففي الوقت الذي يوجد فيه كتاب قادرين على استخلاص تعميمات اجتماعية عظيمة ، فهناك كتاب لا يقومون الا بعرض بعض القضايا الاخلاقية « كتاب وثائقيون عن الحياة اليومية للمجتمع السوفياتي » . واعتبر الكاتب ان من بين هؤلاء الكتاب فينالي سيومن مؤلف قصة « سبعة في بيت واحد » . وبالامكان اعتباره « كتاباً واقعياً انتقادياً ايجابياً في مجتمع اشتراكي » . وفي المراحل المختلفة من تاريخ الادب السوفياتي كان هنالك كتاب آخرون ايضا يمكن من الاصول ، اعتبارهم « كتاباً واقعياً انتقادياً ايجابياً » . واذا اقر مثل هذا الفني في التدرج في الدراسات الادبية ، فلن تكون هنالك حاجة ، حسب رأي بوسيبيلوف ، « لاقصاء » اي كاتب من الواقعية الاشتراكية ، وسيجد كل كاتب مكاناً ملائماً له .

وقام افجيني تاغر بمحاولة تحليل مفهوم « الطريقة الفنية » . وهو يرى ان كل طريقة فنية تستخدم لغتها الخاصة ، ونتيجة لذلك فعلى المرء الا يوسع مفهوم الطريقة الفنية التي هي رؤيا فنية ، وادراك فني للحياة . انها يجب الا تثقل بمشاكل الفلسفة . ان لغة الواقعية ، هي موضوعياً ، لغة وصفية ، ولغة الرومانسية هي لغة السحر الشعري ، بينما نجد ان لغة الاتجاهات الحديثة « المودرنزم » هي لغة تعبيرية ، ترابطية . انها تفترض تفهم الكاتب للواصر العميقة التي تشد الظواهر بالواقع ، ويكفي هنا ان نقارن مسرحية غوركي الواقعية « ابفور بوليتشوف » بمسرحية فيشنسكي الرومانسية « التراجيديا المتفائلة » وبمسرحية بريخت التعبيرية « رجل سيزوان الطيب » لفهم التباين المباشر بين كل هذه الاعمال . وأشار تاغر الى ان دراسة كهذه ستمدنا ببعض الاستنتاجات النظرية الهامة .

ودعا الكاتب الى التقلب على النزوع نحو اتجاهين عميقين الجذور، الاول منهما هو ان الواقعية ، كشكل من اشكال الفن ، هي ضمانة ميكانيكية للحقيقة ، والاخر هو اعتبار ان فن ادباء الطليعة Avant-garde Art ينبغي ان يرتبط بالضرورة بوجهة نظر

رجعية عن الواقع .

ويطرح تاغر السؤال التالي : « اين يمكن الاحساس بالتنوع الهائل لوجه الفن الاشتراكي ؟ » ويجب نفسه على هذا التساؤل بقوله « ان ديالكتيك الحياة المقعد يمكن ادراكه في الصراع بين مختلف الاتجاهات والتيارات الفنية » .

وقد ناز جدل حام حول الاراء الاخيرة . فلقد تبني الاكاديمي ميخائيل خراجنكو وجهة نظر ترى ان اي طريقة ، كفاونون للتطور الادبي ، لا يمكن ان تتحدد في حدود معناها الاسلوبي الحرفي ، ومن الضروري ان ترتبط بمسألة الشخصية وبفهم الترابط بين الانسان

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

والعالم ، وبالقولى المحركة للتأريخ . وقد شدد على هذا الاثنان الذي يقرر الواقعية الاشتراكية . وقال ان هذا الانعكاس للواقع لا يقرر التأميلية والطبيعية والتوضيحية . وبمثل هذا التناول ، فان التصوير الصادق للحياة يصبح مبدأ ايديولوجيا في تفسير ما هو مرسوم . الا ان الواقعية الاشتراكية ، بفضل نشاطها الاستاتيكي ، تتطلب وجهة نظر متفتحة عن الاشياء ، ومفهوما فنيا جديدا واصيلا فسي تفسير الحياة .

ان وجهات النظر التي قدمها بوسيبولوف وتاغر قد اثارت تشويشا في مفهوم الواقعية الاشتراكية ، ولذا فقد قوبلت بالرفض الشديد من قبل الكسندر دايمشترز ، ليو ياكيمكو ، والكسندر ميچنكو وآخري . واثاروا الى ان المرء يستطيع ان يتحدث عن طريقة ابداعية ما وراثتها المستمر . ولكن لا يمكن الحديث عن تدرج تأملي يقود بالتالي الى نضيق ميدان تأثير الواقعية الاشتراكية .

واحتلت مسألة العلاقة بين الواقعية الاشتراكية وطرق الابداع الاخرى حيزا كبيرا في اعمال المؤتمر .

واستنادا الى تجربة الادب الاوكراني السوفياني ، ايد البروفيسور ستيبان كريجانوفسكي الرأي الذي عبر عنه افجانكو في بحثه من ان فن الرومانسية الاشتراكية يوجد ويتطور جنبا الى جنب مع الواقعية الاشتراكية . وطورت هذه الفكرة بمساهمة ديمتري ماركوف ، العضو المراسل في اكاديمية العلوم ، اعنادا على مواد مستقاة من بلدان الديمقراطيات الشعبية السلافية .

الا ان وجهة النظر الفائلة بالوجود المتوازي للواقعية الاشتراكية والرومانسية الاشتراكية لم يلاق قبولا اجماعيا . واثار بوريس بيالك الى ان الواقعية الاشتراكية ليست مجموع خصائص اسلوبية ، ولكنها عملية حية ، متباينة ، تختص كل الواقع ، وبكل تكامله . ولهذا السبب فليست هنالك حاجة لان نلحق بها طرفا ابداعية اخرى . ان اعتبار الواقعية الاشتراكية ، والرومانسية الاشتراكية كطرف ابداعية توجد بشكل متواز ، انما هو بحث للاعتقاد السائد في الثلاثينات . وواصل بيالك حديثه قائلا « ان افجانكو قد اعتبر في بحثه كلا من دوفجنكو ، وسيفيتلوف ، وغرين كتابا رومانسيين ، ولكن كل هؤلاء الفنانين ذوي مواقف فكرية متباينة عن العالم ويختلف كل منهم عن الاخر بصورة مطلقة » .

وعارض مارك بولياكوف البحث الذي قدمه افجانكو ، وخاصة محاولة تقليص طريقة ما الى مجموع خصائصها الاسلوبية ، مشددا على ان الواقعية الاشتراكية تتميز بانسج جديدة في العلاقة بين المثال والواقع . ان هذا المبدأ واسع وشامل جدا لدرجة انه يعطي للفن الحق في الحديث بلغة الواقع ، وبلغة الرومانس في آن واحد ، ويظل مع ذلك يمثل فن الواقعية الاشتراكية .

وتحدث بوريس بورسوف العضو المراسل في اكاديمية العلوم عن العلاقة بين الواقعية الاشتراكية والواقعية الانتقادية . واستخلص رأيا ، يرى ان الادب الروسي الكلاسيكي ، هو ادب ذو مثل انسانية عظيمة ونظلمات اخلاقية حساسة لم تفقد اهميتها البالغة حتى يومنا هذا . ومن وجهة النظر هذه يجب الحكم على معاصرة الكلاسيكيات ، وعلى العلاقة بين الواقعية الكلاسيكية ، والواقعية الاشتراكية .

واعطى فلاديمير لاشن جل اهتمامه الى مناقشة ما يسمى بصدق العصر ، وصدق الحقيقة . وفي رأيه أن وحدة العالم الواقعي تفترض وحدة الصدق التي يدونها الادب ولا تعطي مجالا لفصل صدق الحقيقة عن صدق العصر .

وجوابا على ذلك فقد اشار ميخائيل خرابجنكو ، ان الاستبايك لا يمتلك الحق في ان يحدد نفسه في مهمة تأكيد وحدة صدق الحياة ما دام صدق الحياة يجد انعكاسه في الفن في الصدق الفني . واذا لم يمر المرء انبهاها الى ديالكتيك صدق الحياة ، والصدق الفني ، فان الادب سوف يهبط لا محالة الى مستوى الطبيعية .

كما لم يتفق البروفيسور ميچنكو ايضا مع لاشن وقال ان لاشن قد فلع كل المسألة الى الحالة الخصوصية ، الى المثال المفرد ، مستندا في ذلك على فكرة عبر عنها لينين في رسالته الى انيسا ارماند . ولكن من اجل فهم العمق الكامل لفكرة لينين تلك لا بد من دراستها خلال نصها المعين . وسوف ندرك حينذاك ، ان الحقيقة ليست بعد ذاتها مهمة ، ولكن ايضا الطريقة التي تعرض بها هذه الحقيقة على الاخرين . واذا لم نعمل ذلك ، فان ذلك سيؤدي الى تناقض في الافكار . ان الفنان محكوم عليه بتناول الحقائق الخاصة ، وان يفقد المنظور الكلي العام .

وعاد ميچنكو الى معالجة نظرية الادب وتفسيرها من وجهة النظر الدقيقة المتمثلة في المعالجة التاريخية والديالكتيكية . وهكذا فان بعض دارسي الادب قد اسفطوا من حسابهم ، مثلا ، الثلاثينات والاربعينات من تأريخ الادب السوفياني . الا ان هذا لم يكن شيئا تاريخيا . ان وضع الفن المعاصر ، اني جنب عن الثلاثينات والاربعينات يدفعنا الى ادراك ان الادب يمر حاليا في مرحلة جديدة . فهو يواجه بعض المتطلبات الخاصة التي لم تكن تواجه فناني الفترات السابقة ، ولهذا فليس من الصحيح خلط حقيقة تاريخية باخرى .

كما احتلت قضية العناصر العمومية والعالمية في الادب حيزا كبيرا في مناقشات الواقعية الاشتراكية .

وقد تحدث عن هذه القضايا كتاب امثال : ميخائيل خرابجنكو ، بيونر باليفسكي والكاتب الهنغاري لاسزلو آلز ، والكاتب اليوغوسلافي فلانك . وقد اعتبرت دراسة الخصائص القومية المميزة والملاح الفنية الفريدة لتطور الادب المختلفة ، اعتبرت بحق القضية رقم ١ - ان دراسة كهذه سوف تقضي وتحدد بشكل اكثر دقة مفهومنا عن الواقعية الاشتراكية .

ترجمة : فاضل تامر

بغداد

صدر حديثا :

الاشتراكية العربية

بين النظرية والتطبيق

بقلم

عبدالحارث الفيكيكي

دراسة جديدة مدعومة بالوثائق والارقام عن منجزات الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية الجزائرية

الثن ٣٠٠ ق. ل

منشورات دار الاداب